انى اجعلنى على خزاين خراج مصر ودخلها انى حفيظ عليم للخزاين بوجوه مصالحها وقيل معناه انى
حاسب كاتب وقوله ابن لما استودعتنى حفيظ عليم اعلم لغة من ياتينى وقال الكلبى حفيظ بتقديره
فى السنين المخصبة للسنين المجدبة عليم بوقت الجوع حين يقع فقال الملك عند ذلك ومن احق
بذلك منك وولاه ذلك وروى البغوى باسناد الثعلبى عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يرحم الله اخى يوسف لو لم يقل اجعلنى على خزاين الارض لاستعمله من ساعته ولكنه اخر لذلك سنة فان
قلت كيف طلب يوسف عليه السلام الامارة والولاية مع كراهية طلبها صح من حديث
عبد الرحمن بن سمرة قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن لا تسال الامارة فانك
ان اوتيتها عن مسيلة وكلت اليها وان اوتيتها من غير مسيلة اعنت عليها اخرجاه فى الصحيحين قلت
انما يكره طلب الامارة اذا لم يتعين عليه طلبها واذا تعين عليه طلبها وجب عليه ذلك ولا كراهية فيه
فاما يوسف عليه السلام فكان عليه طلب الامارة لانه مرسل من الله تعالى والرسول اعلم بمصالح الامة
من غيره واذا كان برعاية المصالح فلا يمكنه ذلك الا بطلب الامارة وجب عليه طلبها وقيل انه لما علم
انه سيحصل القحط والشدة اما بطريق الوحى من الله او بغيره وربما افضى ذلك الى هلاك معظم الخلق وكان فى
طلب الامارة ايصال الخير والراحة الى المستحقين وجب عليه طلب الامارة لهذا السبب فان
قلت كيف مدح يوسف نفسه بقوله انى حفيظ عليم والله تعالى يقول فلا تزكوا
انفسكم قلت انما يكره تزكية النفس اذا قصد به الرجل التطاول والتفاخر والتوسل
به الى غير ما يحل فهذا القدر مذموم فى تزكية النفس اما اذا قصد بتزكية النفس ومدحها ايصال
الخير للغير فلا يكره ذلك ولا يحرم بل يجب عليه ذلك مثاله ان يكون بعض الناس عنده علم نافع
ولا يعرف به فانه يجب عليه ان يقول انا عالم بمصالح الدين ولم يعلم انه عالم بمصالح الدنيا ايضا مع كمال علمه
بمصالح الدين قوله عز وجل وكذلك مكنا ليوسف فى الارض وذلك اشارة الى ما تقدم يعنى كما انعمنا على
يوسف بان انجيناه من الجب وخلصناه من السجن وزيناه فى عين الملك حتى قربه وادنى منزلته كذلك مكنا
له فى الارض يعنى ارض مصر ومعنى التمكين هو ان لا ينازعه منازع فيما يراه ويختاره واليه الاشارة
بقوله يتبوأ منها حيث يشاء لانه تفسير للتمكين قال ابن عباس وغيره لما انقضت السنة من يوم سال
يوسف الامارة دعاه الملك فتوجه ورداه بسيفه وحلاه بخاتمه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر
والياقوت طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرة اذرع ووضع له عليه ثلاثون فراشا وستون مقدمة وضرب عليه
حلة من استبرق وامره ان يخرج فخرج لونه كالثلج ووجهه كالقمر يرى الناظر وجهه فيه من صفاء لونه فانطلق
حتى جلس على ذلك السرير ودانت ليوسف الملوك وفوض الملك الاكبر اليه ملكه وعزل قطفير عما كان عليه وجعل
يوسف مكانه قال ابن اسحق قال ابن زيد وكان لملك مصر خزاين كثيرة فسلمها الى يوسف وسلم اليه سلطانه
كله وجعل امره وقضاه نافذا فى مملكته قالوا ثم هلك قطفير عزيز مصر فى تلك الليالى فزوج الملك يوسف
امراة العزيز بعد هلاكه فلما دخل يوسف عليها قال لها اليس هذا خيرا مما كنت تريدين فقالت ايها
الصديق لا تلمنى فانى كنت امراة حسناء ناعمة كما ترى فى ملك ودنيا وكان صاحبى لا ياتى النساء وكنت كما جعلك الله
فى حسنك وهيبتك فغلبتنى نفسى وعصمك الله قالوا فوجدها يوسف عذراء فاصابها فولدت له ذكرين افرائيم وميشا
ابنى يوسف منها واستوثق ليوسف ملك مصر واقام فيهم العدل واحبته الرجال والنساء فلما اطمان يوسف
فى مصر فى ملكه ودبر فى جميع الطعام احسن التدبير فبنى الحصون والبيوت الكثيرة وجمع فيها الطعام للسنين

المجدبة

المجدبة وانفق المال بالمعروف حتى خلت السنون المخصبة ودخلت السنون المجدبة بهول وشدة لم ير الناس
مثله وقيل انه دبر فى طعام الملك وحاشيته كل يوم مرة واحدة نصف النهار فلما دخلت سنين القحط كان اول
من اصابه الجوع الملك فجاع نصف النهار فنادى يا يوسف الجوع الجوع فقال يوسف هذا اوان القحط فهلك
فى السنة الاولى من اول سنين القحط كل ما اعدوه فى السنين المخصبة فجعل اهل مصر يبتاعون الطعام من يوسف
فباعهم فى السنة الاولى بالنقود حتى لم يبق بمصر درهم ولا دينار الا اخذه منهم وباعهم فى السنة الثانية
بالحلى والجواهر فلم يبق فى ايدى الناس منها شى وباعهم فى السنة الثالثة بالمواشى والدواب حتى احتوى عليها
كلها وباعهم فى السنة الرابعة بالعبيد والجوار حتى لم يبق بايدى الناس عبد ولا امة وباعهم فى السنة الخامسة
بالضياع والعقار حتى احتوى عليها كلها وباعهم فى السنة السادسة باولادهم حتى استرقهم وباعهم فى السنة
السابعة برقابهم حتى لم يبق بمصر حر ولا حرة الا ملكه فصاروا جميعا عبيدا ليوسف عليه السلام فقال اهل
مصر ما راينا كاليوم ملكا اجل ولا اعظم من يوسف فقال يوسف للملك كيف رايت صنع الله بى فيما خولنى
فما ترى فى هولاء فقال الملك الراى رايك ونحن لك تبع فقال فانى اشهد الله واشهدك انى قد اعتقت اهل
مصر عن اخرهم ورددت عليهم املاكهم وقيل ان يوسف كان لا يشبع فى تلك الايام فقيل له تجوع وانت
بيدك خزاين الارض فقال اخاف ان شبعت انسى الجايع وامر يوسف طباخى الملك ان يجعلوا غداه نصف النهار
واراد بذلك ان يذوق الملك طعم الجوع فلا ينسى الجياع فمن ثم جعل الملوك غداهم نصف النهار قال مجاهد ولم
يزل يوسف يدعو الملك الى الاسلام ويتلطف به حتى اسلم الملك وكثير من الناس قوله تعالى نصيب برحمتنا من
نشا يعنى نختص برحمتنا وهى النبوة من نشاء من عبادنا ولا نضيع اجر المحسنين قال ابن عباس يعنى الصابرين
ولاجر الاخرة يعنى ولثواب الاخرة خير يعنى افضل من اجر الدنيا للذين امنوا وكانوا يتقون يعنى يتقون ما نهى
الله عنه وفيه دليل على ان الذى اعد الله عز وجل ليوسف فى الاخرة من الاجر والثواب الجزيل افضل مما اعطاه
الله فى الدنيا من الملك قوله تعالى وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون قال العلما
لما اشتد القحط وعظم البلاء عم ذلك جميع البلاد حتى وصل الى بلاد الشام فقصد الناس مصر من كل مكان للميرة فجعل
يوسف لا يعطى احدا اكثر مما يحمل بعيره وان كان عظيما تقسطا ومساواة بين الناس ونزل بال يعقوب ما نزل بالناس
من الشدة فبعث بنيه الى مصر للميرة وامسك عنده بنيامين اخا يوسف لامه وابيه وارسل عشرة فذلك قوله
تعالى وجاء اخوة يوسف وكانوا عشرة وكان مسكنهم بالعربات من ارض فلسطين بغور الشام وكانوا اهل
بادية وابل وشياه فدعاهم يعقوب عليه السلام وقال بلغنى ان بمصر ملكا صالحا يبيع الطعام فتجهزوا
له واقصدوه لتشتروا منه ما تحتاجون اليه من الطعام حتى قدموا مصر فدخلوا على يوسف
فعرفهم قال ابن عباس ومجاهد باول نظرة نظر اليهم عرفهم وقال الحسن لم يعرفهم حتى تعرفوا اليه وهم له
منكرون يعنى لم يعرفوه قال ابن عباس كان بين ان قذفوه فى الجب وبين دخولهم عليه اربعين سنة
فلذلك انكروه وقال عطا انما لم يعرفوه لانه كان على سرير الملك وكان على راسه تاج الملك وقيل انه كان
قد لبس زى ملوك مصر عليه ثياب حرير وفى عنقه طوق من ذهب وكل واحد من هذه الاشيا مانع
من حصول المعرفة فكيف وقد اجتمعت فيه وقيل ان العرفان انما يتم فى القلب بخلق الله تعالى لها
فيه وان الله لم يخلق ذلك العرفان فى تلك الساعة فى قلوبهم تحقيقا لما اخبر انه سينبيهم بامرهم هذا
وهم لا يشعرون فكان ذلك معجزة ليوسف عليه السلام فلما نظر اليهم يوسف وكلموه بالعبرانية كلمهم
بلسانهم فقال لهم اخبرونى من انتم وما امركم فانى قد انكرت حالكم قالوا نحن قوم من ارض الشام

Copyright © King Saud University